E-ISSN: 2789-3359 || P-ISSN: 2789-7834 || AIF: 0.93 || isi 2024: 1.223

لغة القرآن بين العربية والعروبية

The language of the Qur'an between Arabic and Arabism

أ. د. مليكة ناعيم: أستاذة التعليم العالي (بروفيسور) كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، المغرب

Prof. Dr. Malika Naaim: Professor at Faculty of Arabic Language, Cadi Ayyad University, Morocco

Email: ma.naaim@uca.ac.ma

DOI :https://doi.org/10.56989/benkj.v4i7.1087

الملخص:

تثير لغة القرآن الكريم أسئلة كبرى، نظرا لطبيعة النص: القدسية، وسمات البيئة التي نزل بها، لذلك كثر حولها الحديث قديما وحديثا، وتباينت المواقف بين من يميز بين قدسية النص وحيوية اللغة وتمثلها للغة البيئة، ومن يجعل قدسية النص تشمل اللغة التي كتب بها فتمسك بسلامة لغته العربية من أي عنصر خارجي بدليل قوله تعالى: " بلسان عربي مبين". وتهدف هذه الدراسة إلى إثارة هذا السؤال من جديد لإعادة قراءة الآية السابقة، وتتبنى مفهوما واسعا للسان العربي، عبر نماذج تطبيقية تؤصل لبعض ألفاظ القرآن وتراجع أقوال المفسرين في تفسيرها بالاعتماد على المعجم والسياق مع استحضار خصوصيات القرآن لاسيما عالمية الرسالة. وتربط في لغة القرآن الكريم بين صفتي العربي والعروبي عبر السؤال المحوري الآتي: هل المقصود بالعربي في القرآن الكريم معناه الحالي الذي يعني اللغة العربية أم العربي يعني اللسان الفصيح المحكم والمعرب عن المعاني والمتمثل للغة العروبية الأقرب إلى الأصل بخصائصها الأساس وسماتها الحيوية؟

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، القرآن الكريم، العروبية، لسان، الأعجمي.

Abstract:

The language of the Holy Qur'an raises major questions, due to the nature of the text: the sanctity, and the features of the environment in which it was revealed, so many around it talk old and new, and the views varied between those who distinguish between the sanctity of the text and the vitality of the language and its representation of the language of the environment, and who makes the sanctity of the text include the language in which it was written, so it adheres to the integrity of its Arabic language from any external element as evidenced by the Almighty's saying: " بلسان عربي مبين." This research paper seeks to raise this question again to re-read the previous verse, and adopts a broad concept of the Arabic tongue, through applied models that establish some of the words of the Qur'an and revise the sayings of the interpreter.

Keywords: Arabic language, Holy Quran, Arabism, Tongue, foreign word.

المقدمة:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين في بيئة عربية، تتسم بالسليقة والفصاحة، عرفت بإجادة الشعر إلى درجة صار مجال التنافس والتفاضل بين رجالاتها. لكن لغة القرآن وأسلوبه كانا أقوى من لغة أولئك الفحول تبهرهم بفصاحتها وتتحداهم بألفاظها وتعجزهم بنظمها وهم فرسان البلاغة وأرباب البيان. ومع ذلك تعنت بعضهم فشكك في مصدرها وكفر بصاحب الرسالة وجادل في مستواها. وهذا مما جعل لغة القرآن الكريم تثير أسئلة كبرى على مدى القرون ولم تفلح بعد في إيجاد أجوبة مقنعة على الرغم من كثرة الكتابات، ولاسيما أن النص القرآني نفسه يصرح بأنه عربي مبين وبلسان قوم النبي المنزل إليهم.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

إن تأويل لسان عربي في القرآن الكريم بمعنى العربية وإن ناسب السياقات الصريحة في قصد اللغة، فإن فهمه في آيات أخر بحسب ظاهر لفظها أوقع الدارسين في مشكلات تصل أحيانا إلى حد افتراض بعض المفارقة/ التناقض بين مدلول الآيات وواقع النص. وفي مقدمة تلك الإشكالات: هل المقصود بلفظ عربي في القرآن الكريم هو "لسان عربي مبين" بمعنى أنه باللغة العربية الخالصة من أي لفظ دخيل أم أن مضمون الآية يحتمل التأويل؟ وتتفرع عنه أسئلة منها: إذا كان كذلك فما المقصود بالعجمي؟ هل هذا من القرآن شرعنة للتفاضل بين اللغات؟ كيف تكون الرسالة عامة وتنص على لغة خاصة؟ تلكم أسئلة ستحاول هذه الدراسة تقديم أجوبة عنها بناء على معطيات لغوية وحضارية؛ لذلك تعتمد الدراسة على المعجم والسياق وتستحضر خصوصيات القرآن الكريم خاصة عالمية الرسالة.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على أدوات إجرائية وفق ما تقتضيه الإجابة عن أسئلتها، منها: الوصف والتحليل والمقارنة.

أهداف الدراسة:

- مراجعة مفهوم لفظ عربي في القرآن الكريم وفق سياقات وروده ومعانيه ومقارنته باللسان.
- توضيح موقف القرآن الكريم من الأعجمي وفق سياقات وروده.
- بيان خصوصيات الدخيل، لاسيما العروبي، في القرآن الكريم من خلال نماذج.
- الميز بين القول بعروبية القرآن باعتبار المكان وتمثل لغة البيئة، وعربيته بمعنى نزوله باللغة العربية الخالصة من أي لفظ دخيل.

- اقتراح بعض الأسس التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة المعجم القرآني لتجاوز بعض المفارقات في التفسير، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمعجم العروبي.

أهمية الدراسة:

للدراسة أهمية، فهي عمدة مشروع الباحثة العلمي القائم أساسا على مراجعة الدرس اللغوي العربي عبر مدخل الانفتاح على اللغات ولاسيما اللغات العروبية، ومن ثم تؤسس لمشروعية المنهج المتبع من خلال مراجعة بعض المفاهيم الأساس لاسيما العربي واللسان والأعجمي في القرآن الكريم، وهي مهمة أيضا للمجال المعرفي وللمكتبة العربية بحيث إنها تحاول تقديم قراءة جديدة لمفهوم العربية في القرآن وتعيد النظر في الموقف من الأعجمي من خلال نماذج من الألفاظ العروبية، مع تبيان بعض المسائل التي ينبغي التركيز عليها في مقاربة المعجم القرآني، لاسيما الميز بين أنواع الدخيل وطبيعته.

المطلب الأول: مفهوم العربي في القرآن بين دلالة اللسان ومقابلة الأعجمي وعالمية الرسالة؟

أ/ مفهوم اللسان العربي في القرآن الكريم من خلال مادة "ع ر ب" و "ل س ن"

يمثل قوله تعالى "بلسانٍ عربيٍ مبين" [الشعراء: 195] مرجع كثير من الدارسين في الإقرار بأن القرآن الكريم عربي بمعنى أنه نزل بلغة عربية خالصة من الكلم الأجنبي دخيلا كان أو معربا. غير أن الاقتصار على آية واحدة فقط وظف فيها اللفظ مع الالتزام بظاهر اللفظ بحجة أنه ينسجم مع مسلمة الباحث لا تكفي للإقرار والحكم على لغة المتن بأن قوله تعالى "بعربي" لا يفهم منه إلا أنه باللغة العربية النقية من أي دخيل، وذلك لعلتين:

- الأولى: إن مادة ع ر ب في الثقافة العربية والسامية لها معان عدة ومن ثم قبل الحكم بتفسير ما أو ترجيحه ينبغي استحضار المعاني المحتملة للفظ جميعها، قصد اختيار الأقرب إلى السياق والأنسب للمقام.
- الثانية: إن توظيف لفظ "العربي" في القرآن الكريم لم ينحصر في هذا السياق فحسب، وإنما وظف في سياقات عدة. ولأن القرآن كلّ لا يقبل التجزئة ولا القراءة المتقطعة، فإن فهم المقصود من عربي في الآيات يقتضي استحضار السياقات التي وظف فيها جميعها ومحاولة إيجاد معنى جامع مشترك بينها. وهذا ما سنحاوله في هذا المحور من الدراسة مستحضرين مفاهيم أساسية للفهم وهي: "اللسان" و"الأعجمي" و"عالمية الدعوة".

✓ مادة ع ر ب في المعجم:

تفيد مادة ع ر ب في المعاجم العربية والسامية معان عدة منها الكامل والفصيح والعالي والقبيح والبدوي والهمجي ومجموعة من الناس في سفر والعبور والمتكلم بلغة العرب. وتشترك اللفظة معظم هذه المعاني مع مقابلاتها في اللغات السامية الأخر، من مثل عبري التي تعني البدوي والرحل. والقلب المكاني مشهور في اللغات واللهجات[1]. وهذا الاشتراك في أصل المعنى جعل عبد الحق فاضل يكتب مقال عربي آرمي عبري في مجلة سومر[2]، يجعل للأسماء الثلاثة أصلا واحدا ومعنى مشتركا بمعنى العبور من مكان إلى آخر، ويناسب الساميين حيث إنهم عبروا من شبه الجزيرة العربية إلى الشام وبلاد الرافدين بسبب الجفاف والقحط.

✓ لسان:

نجد خلافا بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للسان في اللغة العربية؛ غير أن كتب التفسير غالبا ما تستحضر التعريف المشهور للسان وهو الجارحة أو اللغة، وتغيب معان أخرى تبدو الأقرب إلى بعض السياقات القرآنية. فاللسان يعني المقول واللسان الحجة والرسالة. قال ابن منظور: قال ابن بري: اللِّسان هنا الرِّسالة والمقالة؛ ومثله:

أَتَتْني لسانُ بني عامِرٍ أَحاديثُها بَعْد قَوْلٍ نُكُر

قال: وقد يُذَكَّر على معنى الكلام: قال الحطيئة:

نَدِمْتُ على لسانٍ فاتَ مِنِّي *** فلَيْتَ بأَنه في جَوْفِ عَكْمِ

وشاهدُ أَلْسِنَةٍ الجمع فيمن ذَكَّرَ قوله تعالى: واختِلافُ أَلسِنَتِكم وأَلوانكم؛ وشاهدُ أَلْسُنٍ الجمع فيمن أَنث قول العجاج:

أو تَلْحَجُ الأَلْسُنُ فينا مَلْحَجا

ابن سيده: واللِّسانُ المِقْوَلُ، يذكر ويؤنث، والجمع أَلْسِنة فيمن ذكر مثل حِمار وأَحْمرة، وأَلْسُن في من أَنث مثل ذراع وأَذْرُع، لأَن ذلك قياس ما جاء على فِعالٍ من المذكر والمؤنث، وإِن أَردت باللسان اللغة أَنثت. يقال: فلان يتكلم بلِسانِ قومه. قال اللحياني: اللسان في الكلام يذكر ويؤنث.

---

[1]: يقول ولفنسون: "وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادي والنهر من عبره إلى عبره أو عبر السبيل شقها...وكل هذه المعاني نجدها في هذا الفعل سواء في العربية والعبرية وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية". ولفنسون، إسرائيل (1980): تاريخ اللغات السامية، ط1، بيروت، لبنان: دار القشلم، ص78.

[2]. فاضل، عبد الحق (1958): عربي آرمي عبري، مجلة سومر، العدد 1، 19584، ص180-188. ورد عليه السامرائي، ينظر: السامرائي، إبراهيم (1989): عربي، آرامي، عبري، مجلة سومر، العدد 3، ص41.38.

يقال: إن لسانَ الناس عليك لَحَسنة وحَسَنٌ أَي ثناؤُهم. قال ابن سيده: هذا نص قوله واللسان الثناء. وقوله عز وجل: واجْعَلْ لي لسانَ صِدْقٍ في الآخرين؛ معناه اجعل لي ثَناءً حَسناً باقياً إِلى آخر الدهر"[1].

هكذا تتنوع معاني لسن في اللغة العربية، وإذا كان معنى لسان يفيد اللغة في بعض سياقات وروده في القرآن الكريم، فإنه في معظم السياقات التي يكون فيها موصوفا بالعربي يكون المقصود به الرسالة أو القول أو الحجة. ومنه "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين"، أي أن رسالتك أولئك أو حجتهم أضعف من حجته ورسالته، وما يرجح هذا التأويل تلك الإشارة الذكية من ابن سيدة في النص أعلاه: "وإِن أَردت باللسان اللغة أَنثت".

والربط بين المعنيين هنا، أقصد معنى اللسان ومعنى العربي مع استحضار إشارة ابن سيدة يؤول إلى كلام قوي أو رسالة قوية أو حجة قوية. وإن كانت الآية هنا أيضا تحتمل اللغة.

ب/ مفهوم العربي في مقابل الأعجمي في سياق القرآن الكريم:

يؤول لفظ العرب عادة باللغة العربية، والأعجمي بغير العربية من اللغات، وهو تفسير قيمي معياري يجعل العربية أرقى اللغات وأنقاها، وما سواها فهو دونها، لأن المعنى المشهور للأعجمي في العربية يرتبط بضعف اللغة والعي في اللسان. غير أن هذا التفسير لا يستقيم في معظم سياقات اعتماد اللفظ إلا لمن حكّم عصبيته فوقف عند حدود ظاهر اللفظ دون بحث السياق والمغزى، وهو ما جعل معظم القدماء يتعصبون للغة العربية إلى درجة الإفتاء بأن من قال في القرآن بغير لغة العرب فقد أثم. إن تأمل هذه الآيات يضعف أساسا ذلك التفسير أقصد قوله تعالى: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ" [النحل: 103]. يفند الله في هذه الآية دعوى المشككين في مصدر القرآن من المشركين ببيان أنه ليس من تعليمات البشر – إذ كانوا يدعون أن النبي يتعلم التعاليم الدينية من يهودي– وإنما هو رسالة قوية من رب البشر من خلال المقابلة بين لغتين: لغة القرآن الفصيحة القوية في حججها المبينة عن المعاني، ولغة أولئك المشككين الملحدين الضعيفة في نظمها وفي حججها ولغتها، ذلك أن اللسان كما سبق يعني الرسالة ويعني الحجة أيضا ويناسبان هذه الآية. وأكبر دليل على أن المراد باللسان هنا الحجة هو أن الذين يشككون في الرسالة ويتعنتون في قبولها هم قوم النبي صلى الله عليه وسلم أنفسهم الذين نزلت فيهم من قريش، وأن اليهودي الذي يزعمون أن النبي يتعلم منه، يعيش في البيئة العربية وتواصله مع الرسول صلى الله عليه وسلم أكيد كان باللغة العربية لأنه ثبت

---

1. ابن منظور، جمال الدين (2003): لسان العرب، بيروت: دار صادر، مادة (ل. س. ن).

أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعرف العبرية؛ لذلك أمر زيدا بتعلمها ليترجم له ما يصله من كتب اليهود.

هكذا فالمقابلة هنا وقعت بين لغة القرآن القوية في حجتها ونظمها، ولغة ذلك الراهب الضعيفة في حجتها وفي إقناعها ونظمها دون تحديد اللغة، وهذا يؤكده الواقع فكل من يتكلم بلغة غير لغته الأصل، خاصة الأجنبي الذي يتكلم اللغة العربية لا يستطيع الإبانة عن مقاصده لصعوبة نطق بعض الأصوات العربية، النثر مثلا ينطقها نسر... فاتضح أن الأعجمي لا يقابل اللغة العربية، وإنما يقابل القوي الفصيح المقنع. ويتأكد لنا هذا المعنى من قوله تعالى "وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ " [فصلت : 44].

هنا يتأكد المراد باللسان في الآية وهو الرسالة أو الحجة، يعني أن المشركين الملحدين لن يؤمنوا بهذا الكتاب، ولن يصدقوا رسالته ولو نزل بلغة تشبه مستوى لغاتهم وحجتهم، لهذا قال تعالى أأعجمي وعربي؟ بمعنى هل تكذيبكم للرسالة يتعلق بطبيعة اللسان فبقي نقاشكم حبيس هذا أم أنكم مهيؤون للتشكيك وعدم القبول تعنتا منكم واستكبارا فقط[1] .

هكذا يتضح أن الأعجمي هنا في مقابل العربي لا علاقة له بجنس اللغة، ولا يؤول إلى العربية في مقابل غيرها من اللغات[2]، وإلا لكان هناك إقرار بالتفاضل بين اللغات في أعدل رسالة وأصدقها وأعمها وهي القرآن الكريم[3].

---

[1]. أشار الزمخشري إلى هذا، ينظر: الزمخشري، أبو القاسم (1998): الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1، مكتبة العبيكان، ج4، ص202.

[2]. "المعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان (أعجمي) غير بين "وهذا" القرآن (لسان عربي مبين) ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وإبطالا لطعنهم". الكشاف، 635/3. ويقول ابن عاشور: "والأعجمي المنسوب إلى الأعجم، وهو الذي لا يبين عن مراده من كل ناطق لا يفهمون ما يريده. ولذلك سموا الدواب العجماوات. فالباء فيه ياء النسب. ولما كان المنسوب إليه وصفا كان النسب لتقوية الوصف.... والمبين: اسم فاعل من أبان، إذا صار ذا إبانة، أي زائد عن الإبانة بمعنى الفصاحة والبلاغة، فحصل تمام التضاد بينه وبين "لسان الذي يلحدون إليه". ابن عاشور، الطاهر (1984): تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 13/ 288.

[3]. لم تجد الباحثة من أشار إلى هذا المعنى من اللغويين أو المفسرين إلا على فهمي خشيم حين قال: "لكن جزء المشكلة الآخر يظل في الآيات من مثل: "وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ " [سورة فصلت، الآية 44] " وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ على بَعْضِ الأعجمين فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ". [سورة الشعراء، الآية: 198] "لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ". وقد نجد الحل هنا في القول بان مادة [ع ج م] (ومنها: أعجمي، أعجمين) تقابل مادة [ع ر ب]. الأولى بمعنى الإبهام وعدم القدرة على البيان، العجز عن الكلام السوي او الكلام إطلاقا (...) والثانية بمعنى: بين، أوضح، وضح، أبدى، كشف، أظهر...الخ. فالمقابلة في أساسها إذن هي بين الوضوح والغموض". خشيم، علي فهمي (1997): هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم، ط1، دار الشرق الأوسط، ص7–8.

يُستبعد أن يتبنى القرآن فكرة التفاضل بين اللغات لاسيما وأن رب العزة يقر بالمساواة بالقول: "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ" [إبراهيم: 4]. هذا إقرار بمعيار اختيار لغة الرسالة فهي المناسبة لإفهام القوم فقط. وقال تعالى "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ " [الروم: 22ة]. وقال "وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ" [الحجرات: 13]. فلو كانت اللغة معيارا للتميز أو التفاضل لعادلت التقوى في النص ولاتخذت أيضا معيارا للتفاضل.

ج/ مفهوم العربي وفق سياقات تعميم الرسالة:

بينا تحت العناوين السابقة أن الأعجمي لا يمكن أن يقابل العربي ويكون في معنى لغة الأقوام غير العربية. وهنا سنبين أن العربي لا يمكن أن يكون خالصا للدلالة على اللغة العربية من خلال سياقات معينة من القرآن الكريم.

إن فهم المعنى المعتمد في كتاب الله من بين هذه المعاني لمادة ع رب يقتضي البحث عن المشترك الممكن بين الآيات الموظفة لهذا اللفظ مع استحضار خصوصيات النص القرآني الذي وإن نزل بلسان قوم النبي صلى الله عليه وسلم مثل باقي الرسالات، إلا أنه لم يخصهم بالدعوى وإنما هو رحمة للعالمين من رب العالمين كما جاء في فاتحة الكتاب.

إن عالمية الكتاب ومنه الدعوة تقتضي أن تكون لغته مناسبة للعالمين، غير أنه لما لم تكن ثمة لغة مشتركة ووجدت اللغة الأكثر اعتمادا والمضمون لها الخلود والبقاء، والقادرة على حمل الرسالة العالمية وهي العربية استعيض بها عن المشتركة، ومن بين ما أتاح للعربية هذه السمات المميزة استيعابها للغات الآخر وقبولها من خلال اقتراض ألفاظها وإذابتها في نظامها أو مع الاحتفاظ بها كما في الأصل بحسب مقتضى السياق.

بالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أن لفظ عربي وظف مرات عدة وتختلف السياقات التي ورد فيها، ومنها:

- "إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ"[يوسف: 2].
- "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" [فصلت: 3].
- "وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا"[الأحقاف: 12].
- "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗا" [الرعد: 37].

قد يحتمل اللفظ في قوله تعالى بلسان عربي مبين أن يكون القصد اللغة العربية الواضحة والفصيحة، لكن ثمة سياقات لا يناسبها هذا المعنى لأنه يتعارض والمغزى العام من الآية خاصة عندما يعقب اللفظ حكم عام مثل: لعلكم تعقلون/ لعلكم تعلمون.

إن الحمل على معنى العربي هنا يجعل مفارقة بين المغزى العام الذي هو دعوة العالمين إلى التعقل والتدبر والعلم، وبين تأكيد أنه بلسان عربي مبين، مما يفهم منه أن المخاطب الوحيد هو العربي الذي يفهم تلك اللغة العربية، ولا يمكن أن يكون إلا من النخبة العربية التي تتكلم اللغة العربية الفصحى المشتركة دون عامة العرب ولا غيرهم من الأمم الأخر التي تدخل تحت لفظ العالمين لكن تبعدها اللغة العربية الفضيحة، وهذا يظهر أن هذا المعنى لا يناسب هذه الآيات ولا يخدم عالمية الرسالة. وإنما أقرب معنى ينسجم والآية هو الوضوح والبيان وعلو الأسلوب وفصاحته. ومن مظاهر ذلك كله استيعابه للغات تلك الأقوام والبيئات المتفاعلة. فلم يكن بلغة قريش فقط وإن نزل فيهم وبهم، وإنما أخذ من لهجات عربية كثيرة فكون بذلك لغة مشتركة وترك للقارئ من خلال القراءات تمثل الكلمات المشكلة بحسب بيئته: وَسِرَاط وزِراط وَصِرَاط[1] مثلا... واستحضر في سياقات خاصة ودقيقة الألفاظ بأصلها في لغاتها لتمثل أحداث قصص وتقريبها بلفظها من المتلقي للدقة في التصوير والدعوة إلى الاعتبار، كما في سياق سورتي موسى ويوسف عليهما السلام، نحو "العير" و"هِيتَ لك" و"الجُبّ"، مع وجود المقابل العربي الشائع بين العرب لتلك الألفاظ، ليظهر أن تفاعل تلك اللغات في البيئة العربية جعل لغتها عالمية، الأمر الذي جعلها مؤهلة لحمل رسالة رب العالمين.

هكذا يبدو أن لفظ عربي في القرآن الكريم لا يقصد به اللغة العربية في معظم السياقات كما يتصورها معظم الدارسين. وإنما اللسان الواضح المبين عن المعاني المعجز بأساليبه وحججه وعباراته من حيث تمثله للبيئة من جهة ولطبيعة الرسالة من جهة ثانية.

ومن النماذج الصريحة في دلالة اللفظ قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا" [سورة الرعد، الآية 37]. القرآن هنا يعادل الحكم والعربي يفيد المحكم الإتقان. فلو كان المقصود هنا حكما باللغة العربية لبطل عموم الرسالة وصارت أحكامه موقوفة صراحة على العرب فقط[2]، ولفرض على من أراد أن يدخل في الإسلام ويلتزم تعاليم القرآن الكريم أولا أن يكون متمكنا من اللغة العربية، وهذا يتعارض وعالمية الرسالة ومقاصد الشريعة الإسلامية التي هي رسالة للعالمين من غير تحديد أجناسهم ولا لغاتهم ومرونة الشريعة في قبول الأجناس والألوان، كل من نطق الشهادتين. ومميز العربية عن اللغات يعطي للعربية فضلا على غيرها وهذا ليس من أسس العقيدة الراشدة في شيء.

[1]. قرأ قنبل عن ابن كثير، ورويس عن يعقوب كلمة الصراط بالسين، وقرأها حمزة الكوفي بالزاي، وقرأها الجمهور بالصاد.

[2]. تنبه ابن عاشور إلى عدم سلامة هذا القصد لكن سرعان ما وجد في النحو مخرجا بالعدول في إعراب عربيا عن الوصف إلى الحال، مع أن الوصف أقرب وأوضح، قال: ""عربيا" حال ثانية وليس صفة لـ"حكما" إذ الحكمة لا توصف بالنسبة إلى الأمم وإنما المعنى أنه حكمة معبر عنها بالعربية. والمقصود أنه بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأجملها وأسهلها، وفي ذلك إعجازه...". تفسير التحرير والتنوير، 160/13.

والخلاصة هي أن القرآن الكريم عربي باعتبار الوضوح والبيان والبينة والبيئة، ولكنه ليس بمعنى اللغة العربية ولا في مقابل لغات غير العرب، وإن كانت سياقات تقبل هذا المعنى، فهو صحيح إن كان القصد اللغة العربية المتداولة في بيئة النزول عربية مرنة حيوية لقبول الدخيل والمعرب والتفاعل مع غيرها من اللغات، وقبول غير العرب من الأقوام، وترقى عن وصف أخواتها بالعجمة كيفما كان جنسها إلا إن كان القصد بالنظر إلى من لا يعرفها.

المطلب الثاني: **هل القرآن الكريم عروبي؟**

إذا خلصنا في المحور السابق إلى أن عربي في القرآن الكريم هو توصيف لطبيعة النظم وخصوصيات الحجة، فإن سؤالا آخر يبقى مشروعا وهو: هل القرآن الكريم عروبي؟

يثير لفظ عروبي أيضا أسئلة لا تقل في استشكالها عن لفظ عربي، ذلك نظرا لارتباطه بالجذر ع ر ب من جهة ولكونه صار علما لدى العرب على الأقل لمجموعة لغوية تسمى اللغات العروبية وتضم ضمنها اللغة العربية (اللغات السامية)، والذي جعل الموضوع أكثر إشكالا هو ترجيح كون اللغة العربية هي اللغة الأقرب إلى اللغة السامية الأولى.

يكاد الدارسون العرب يجمعون على أن مصطلح سامية غير مناسب لتوصيف لغات الجزيرة العربية شقيقات اللغة العربية لحمولته العنصرية ونزعته اليهودية التي تخدم مزامعهم[1]. ومن ثم راحوا يقترحون بدائل عن هذا المصطلح مستندين إلى حجج منها:

ما يخص الاسم الشائع وما حور إليه معناه من دلالات عنصرية تتماشى مع نزعة اليهود القائمة على ادعاء كونهم شعب الله المختار والسكان الأصليين للمنطقة ومن ثم استحقاق الوعد الإلهي المزعوم بالسيطرة على المنطقة كلها.

وما يخص سند البدائل المقترحة ممثلة أساسا في الموطن الأصلي ومكانة اللغة العربية بين اللغات الجزرية؛ إذ هي الأقرب إلى اللغة السامية الأم المفترضة بل منهم من يكاد يجزم بأنها هي[2].

فاقترح الشرقية والشامية والجزرية والعروبية بدائل[1]، وكلها تتخذ من الموطن الأصلي ومنطقة الانتشار مرجعا. ومنهم من تجاوز هذا إلى اقتراح أن تسمى العربية أو العاربة لكون اللغة العربية

---

[1] ينظر: قبيسي، محمد بهجت (2001): ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، ط1، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع واحدات الطباعة، ص14.13.

[2]. ومنهم محمد بهجت القبيسي الذي يقول إن العربية هي اللغة وغيرها من اللغات السامية مجرد لهجات، لهذا يقول مثلا اللهجة العربية الآرامية واللهجة العربية الأكادية....ولهذا عنون كتابه بـ ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية

هي اللغة السامية الأولى أو الأقرب إليها، غير أنه مقترح لم يلق القبول لكونه يحمل دلالة عنصرية تحصر المجموعة في العرب فقط بمعناه المتداول اليوم[2].

وهنا نقع أمام حقيقتين متناقضتين:

- الأولى: إن شبه الجزيرة العربية هي الموطن الراجح ليكون أصل هذه اللغات السامية ومنه نزحت لظروف المناخ إلى المناطق المجاورة (بلاد الرافدين والشام)[3].
- الثانية: إن الجزم بكون اللغة العربية هي السامية الأولى أو الأقرب إليها على الرغم من كون معظم الدراسات الاستشراقية والعربية تؤيده[4] فيه مغامرة؛ إذ يصعب التحقق من فرضياتها لسبب يسير ومعقد في الآن نفسه وهو فقدان طفولة اللغات السامية؛ إذ لا تتجاوز في أبعد تقدير 3000 سنة قبل الميلاد، وتاريخ العربية المدون لا يتجاوز قرنا من الزمن قبل البعثة النبوية. فالقول إن اللغة العربية التي كتب بها القرآن الكريم هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة الأولى الأصل أو اعتبارها هي، يجعل حياة هذه اللغات تنحصر في فترة ضيقة جدا في حين أن النقوش الأكادية تعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وهي أيضا مدة زمنية قصيرة مقارنة بحياة اللغات الأخر علما بأنه يرجح أن تكون اللغات السامية أقدم من غيرها بل من الباحثين

1. أشهرها العروبية. يقول أحمد شحلان: " فصياغة مصطلح العائلة، أحق أن يكون منها، (عروبية)، لأن في ذلك خضوعا لمعيار العلم والعدل، وهو أوضح من التسمية التي يطلقها بعض المهتمين بهذا الحقل اليوم، وهي اللغات الأفرو– أسيوية". شحلان، أحمد (2009): مجمع البحرين من الفنيقية إلى العربية، دراسة مقارنة في المعجم واللغات العروبية (السامية)، ط1، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص9، ص27. قدور، أحمد محمد (1999): مدخل إلى فقه اللغة العربية، ط2، دمشق: دار الفكر، ص50.

2. قدور، مصدر سابق، ص49–50.

3. هناك آراء مختلفة في الموضوع لكن يبقى أقواها هو الجزيرة العربية. يقول طه باقر:" يجدر أن نبين أن هذه التسمية الشائعة، أي الساميين واللغات السامية، غير موفقة ولا صحيحة في رأيي رغم شيوعها في الاستعمال. ولو أننا سمينا هذه اللغات بلغات الجزيرة أو اللغات العربية والأقوام السامية بالأقوام العربية أو أقوام الجزيرة لكان ذلك أقرب إلى الصواب، ولكن اختصاص أولئك الأقوام السامية كل منهم باسم خاص مثل الآكديين والبابليين والعرب والعبرانيين وغيرهم يجعل إطلاق تسمية عرب على كل منهم لا يعبر عن المدلول التاريخي الدقيق". طه باقر (2012): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة، 84/1. ينظر أيضا: بروكلمان، كارل (1977): فقه اللغات السامية، ترجمه عن الألمانية رمضان عبد التواب، المملكة العربية السعودية: مطبوعات جامعة الرياض، ص12. وولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص6؛ وافي، علي عبد الواحد (1956): فقه اللغة، ط4، القاهرة: لجنة البيان العربي، 8.7.

4. وقد أحسن محمد بهجت قبيسي حين ميز بين اللهجة الأولى واللغة الأم، فتحدث عن اللهجة الأولى؛ أي العربية، لأن اللغة الأم لا نعرفها. ينظر: قبيسي، محمد بهجت [2008]: حضارة واحدة ام حضارات في الوطن العربي القديم، ط2، دمشق: دار طلاس، ص29.

من افترض أن تكون أم اللغات كلها، وهي أمور يصعب الحديث عنها لفقدان الرواية[1]... لكن عن أي عربية يتحدث هؤلاء؟

قد تحيل كلمة العربية هنا على المعنى الذي اعتمدت به في النقوش الأكادية وهي قبيلة بدوية تم الانتصار عليها في عهد الملك الأكادي شيلمنصر الثالث في موقعة القرقار[2]. وقد تكون فصيحة في لغاتها كون اللغة الفصيحة غالبا ما تكون في البوادي حيث العزلة والسليقة والمناخ المناسب للنطق الصحيح. لكن ما لغة تلك القبيلة؟ هل هي العربية بمعنى لغة واضحة تبين عن المعاني؟ أم العربية بمعنى السامية الأولى؟

لا يمكن حاليا أن نجيب عن هذا السؤال ما لم ينته المعجم التاريخي للغات السامية إلى تحديد أصل الكلمة ودلالاتها وموطن اعتمادها أول مرة، وليس بالهين.

ولكن تبقى العروبة صفة مناسبة للقرآن الكريم من جهات عدة، منها:

1. أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية المشتركة ولم يكن بلهجة قبيلة عربية معينة، ومن ثم فهو عروبي؛ أي جامع شامل للغة الأعراب الذين يمثلون النخبة ومن لغتهم تكونت اللغة العربية المشتركة المنتقاة من اللهجات المختلفة في مكة خلاف ما ذهب إليه من وقع في خلط بين اللهجة واللغة فقال إن القرآن الكريم نزل بلغة قريش ويقصد لهجة قريش.
2. أنه نزل في شبه الجزيرة العربية التي تعد الموطن الأصلي الراجح لكل اللغات العروبية قبل أن تنزاح إلى المناطق المجاورة ما عدا اللغة العربية التي بقيت هناك شبه معزولة إلى حد كبير، ولكن لا يعني العزلة التامة لكون مكة منطقة إستراتيجية للتواصل واللقاء والعبور.
3. كون اللغة العربية في صورتها المعتمدة في القرآن الكريم حافظت على كثير من الخصائص المشتركة بين اللغات السامية والتي قد تكون موروثة عن اللغة الأولى على الأقل في مراحلها الأخيرة[3]. لأنه لا يمكن افتراض كون اللغة السامية الأولى بقيت جامدة عبر مراحلها ومن ثم فما يقال عن الخصائص المشتركة هي فقط بحسب المرحلة التي يفترض إمكان الوصول إليها[4].
4. هذا هو الأهم تمثل القرآن الكريم للغة شبه الجزيرة العربية، كما تمثل لغة القبائل العربية باعتماد نماذج من كل لهجة، وبين لنا من خلال ذلك كيف تنمو اللغة وكيف تنشأ اللغات

---

[1]. بروكلمان: فقه اللغات السامية، ص14. وولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص8.7.

[2]. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، 2/212–211.

[3]. بروكلمان: فقه اللغات السامية، ص14.

[4]. ينظر: المصدر نفسه، ص14؛ وافي: فقه اللغة، ص12.

واللهجات؛ فقد احتفظ بمواد لغوية وأساليب من لغات مختلفة كانت متفاعلة في شبه الجزيرة العربية[1] إما باعتبار وحدة الأصل وإما بحكم العلاقات بين الثقافات والحضارات لأسباب اقتصادية وتجارية ودفاعية. فتمثل لنا القرآن الكريم مظاهر الحياة في الجزيرة قبل البعثة وإبانها من خلال تصوير الوضع اللغوي بتوظيف بعض الألفاظ من حضارات أخر تفاعلت مع العربية فكان التصوير بالوصف وباللغة، كما بين من خلاله كيف تتمثل اللغة التفاعل وتصنع السلام من خلال لغة متفاعلة مع لغات عدة، مما يبين وبالحجة الدامغة أنها اللغة المناسبة لخاتمة الرسالات وعالميتها.

هكذا يتضح أن القرآن الكريم عروبي المكان والحضارة وعربي اللسان؛ الأول باعتبار النزول وتفاعل اللغات، والثاني باعتبار البيان والوضوح والإقناع بالحجة الدامغة. ثم القرآن الكريم عربي اللفظ أيضا باعتبار اللغة التي نزل بها والتي تمثل لغة البيئة، وليس باعتبار طبيعة المتلقي المقصود.

المطلب الثالث: العروبي في القرآن الكريم:

الحديث عن حضور لغات أخر في القرآن الكريم، وإن بات حكما متجاوزا لإقرار أهل الاختصاص بالأمر تطبيقا وتنظيرا، ليس بالأمر اليسير، خاصة عندما يتعلق الأمر بما هو سامي الأصل؛ بمعنى ما يفترض أن يكون دخيلا من إحدى اللغات السامية. والأمر تتضح صعوبته من طرق تعامل المفسرين الأوائل مع المعجم القرآني؛ إذ يلحظ عليهم بعض التردد في رد الألفاظ إلى أصولها وهو أمر عادة ما يفسر بجهلهم لهذه اللغات، لكن قد نفسره تفسيرا مغايرا وهو صعوبة الحسم لأن معظم المواد مشتركة، فيبقى الحسم لمسألة القدم، وهو ما يحتاج إلى تأثيل دقيق في الوقت الذي يبدو من الصعب الوصول إلى الأصول الأولى للغات السامية[2]. ومن ثم فمعظم المواد يمكن أن توصف بالمشترك[3] ما دامت ثابتة بحسب الوثائق التي وصلت إلينا في هذه اللغات مع تغييرات صوتية (الإبدال والقلب) يقبلها النسق السامي لتقارب المخارج والصفات، ولا تخرج في ألوانها وأنواعها عن تلك المشهورة بين اللهجات العربية والتي يجسدها نص ابن حزم الأندلسي (اسطوط وأسيوط/ سجرة وشجرة/ محمد ومهمد).[4]غير أن ثمة مواد يظهر بحسب دراسة نسق اللغة

1. شحلان: مجمع البحرين، ص27.
2. تبيان هذه المسألة في: وافي: فقه اللغة، ص12.
3. مفهوم المشترك في: شحلان: مجمع البحرين، ص48، 49.
4. "إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل بمساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتها. ونحن نجد من إذا سمع لغة فحص البلوط، وهي على مسافة ليلة

العربية وتتبع معجمها أنها دخلت إليها من اللغات بحكم أن كل لغة طورت لنفسها مواد لغوية جديدة وفق حاجيات التواصل وخصوصيات البيئة والحياة. فالمناطق التجارية ليست مثل الفلاحية، والجبال ليست مثل السهول، والخصب ليس مثل الجذب..... لكن تبقى هذه قليلة مقارنة بالقسم الأول وسأكتفي منها بنماذج فقط.

1/ **بيع بين اللغة والاصطلاح:** تثير لفظة بيعة في القرآن الكريم مشكلة من حيث بناءُ اللفظ ودلالته اللغوية، ومن ثم لم نجد من المعجميين من وقف عند اللفظة في ذاتها، وإنما يقف معظمهم عند القول هي معابد اليهود أو معابد النصارى، يقول ابن منظور: "والبيعة بالكسر: كنيسة النصارى، وقيل: كنيسة اليهود، والجمع بيع، وهو قوله تعالى: وبيع وصلوات ومساجد"[1]، وحذا حذوهم في ذلك المفسرون[2]... فما أصل المادة؟ ينبغي الميز هنا بين المعنى المعجمي للمادة وهو المغيب في كتب التفسير، وبين المعنى الاصطلاحي الحاضر من غير تصنيف. تمثل هذه المادة من المشترك اللغوي السامي لفظا ومعنى، غير أن فهمها يستدعي استحضار صورة اللفظ في كل لغة وما يقع عند الانتقال من لغة إلى أخرى من إبدال. ويسهل الأمر بمجرد أن نعرف أن الضاد في الآرامية تطورت إلى قاف ثم إلى عين –ويصف حجازي هذا بأنه من الظواهر المؤكدة التي يصعب إيجاد تفسير صوتي لها[3]– حينئذ سيتضح أن بيعة الآرامية هي بيضة العربية وביצה العبرية ... وهي نفسها البيضة التي نعرف في اللغة العربية. والسؤال العقيم دائما هو ما هو الأصل هل هو الصاد أم الضاد أم العين؟ في الثقافة العربية الكلمة كتبت صادا لغياب الإعجام بالنقط في البداية لكن

واحدة من قرطبة، كاد أن يقول إنها غير لغة أهل قرطبة. وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلاً لا يخفى على من تأمله.

ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلاً وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق، فنجدهم يقولون في العنب "العينب" وفي السوط "أسطوط" وفي ثلاثة دنانير "ثلثدا". فإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال "السجرة"! وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول "مهمداً" إذا أراد أن يقول "محمداً". ومثل هذا كثير. فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل". ابن حزم، علي بن أحمد (1987): الإحكام في أصول الأحكام، حققه وراجعه لجنة من العلماء، ط2، لبنان: دار الجيل، 33/1.

1. ابن منظور: لسان العرب، مادة ب ي ع.

2. ينظر مثلا: الآلوسي، شهاب الدين (د.ت): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 163/17، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (د.ت): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دمشق، دار القلم، 8/284-285. والبيضاوي، القاضي ناصر الدين (2000): تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه وضبط نصه محمد حسن حلاق ومحمد أحمد الأطرش، ط1، دار الرشيد، دمشق بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، 4/ 73.

[3]. حجازي، محمود (1973): علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات السامية، الكويت: وكالة المطبوعات، ص200.

أكيد أنها قرئت ضادا لأن المادة مشهورة في الثقافة العربية قبل الإسلام؛ لكن ما الأسبق هل المادة بالعين أم بالضاد، هذا دائما سؤال يترك للمعجم التاريخي للحسم، وهو مسألة تاريخية إذا ثبت أن العربية أقدم من الآرامية فهي الأصل وإلا ففي الأمر نظر.

لكن من حيث الاصطلاح فهذا هو المعنى المحدث للفظ في الثقافة الآرامية ومنها نقل إلى اللغة العربية بمعنى أنه دخيل بالمعنى الاصطلاحي فقط وليس باللفظ، فالمقصود به معابد اليهود وسميت كذلك توصيفا لشكل القبة البيضوي الذي يكون أعلى المعبد، ومن ثم جاءت في الآية معابد وصلوات ومساجد[1] للدقة في تصوير الديانات الثلاثة من خلال توصيف الأماكن المخصصة للطقوس الدينية.

المشكل الأساس إذن في المادة هو عدم الميز بين المعنى اللغوي المشترك والمعنى الاصطلاحي الخاص بثقافة معينة، لكن القرآن الكريم وظف اللفظ هنا بمعناه الاصطلاحي وهو ما لم يفصح عنه المفسرون.

2/ صلواة بين اللفظ والاصطلاح: على خلاف المادة الأولى نجد في مادة "صلواة" أيضا مشكلا في التأصيل لكن المهمل في الثقافة العربية هنا هو المعنى اللغوي وليس المعنى الاصطلاحي الذي اكتسبه اللفظ فيما بعد[2].

نجد في معجم لسان العرب: صلا: الصلاة: الركوع والسجود. فأما قوله صلى الله عليه وسلم: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد فإنه أراد لا صلاة فاضلة أو كاملة، والجمع صلوات. والصلاة: الدعاء والاستغفار؛ قال الأعشى:

وصهباء طاف يهوديُّها وأبرزها وعليهـــا ختم

وقابلهـا الريح في دنهاوصلى على دنها وارتسم[3]

هكذا فالمعنى الذي أثبت هنا معنى اصطلاحي للفظ وهو الركن الثاني من أركان الإسلام المعروف بشروطه وسننه وآدابه. لكن لم يثبت المعنى اللغوي للفظ والذي ربما هو الذي دخل إلى اللغة العربية من أختها الآرامية فصلاة في اللغة بمعنى الانحناء. قبل أن ينتقل اللفظ من المعنى اللغوي إلى المفهوم الاصطلاحي والذي يشترك مع اللغوي في الانحناء لكن هذا انحناء في إطار

---

1. "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ". [الحج: 40].

2 . ينظر مثلا: الآلوسي: روح المعاني، 163/17، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 285.284/8. والطوسي، محمد بن الحسن (د.ت): التبيان في تفسير القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 321/7. وابن عاشور، محمد الطاهر: المحرر الوجيز، 278/17.

3. ابن منظور: لسان العرب، مادة (ص. ل. ا).

ديني تحكمه ضوابط معينة. وعدم استحضار هذا المعنى جعل معظم المفسرين يهملون أصل اللفظ. صحيح أن من المفسرين من انتبه إلى أصل اللفظ من خلال الرسم، لكن دون إشارة إلى المعنى الأصل؛ إذ الواو بعد الفتحة هنا مشكلة، ولهذا أضيفت الألف أعلاها لتوجيه القراءة، لكن من يستحضر الأصل يعرف أن أصل المادة صلوتا/صلوثا في الآرامية، وألف المد/ الفتحة الممدودة في آخر الكلمة دالة على التعريف في البداية ثم بعد ذلك فقدت هذه الوظيفة إلا في المفعول المباشر، وصارت النهاية العادية للكلمات[1]، وإنما يميز السياق فقط النكرة من المعرفة. وأما التاء في الآرامية فتكتب مربوطة دائما سواء في وسط الكلمة أو في آخرها. ولجهل هذا الأصل أو إهماله لم يجد المفسرون توضيحا للرسم وفسره بعضهم بالتوقيف.

يلحظ إذن أن الحكم على اللفظ بأنه دخيل أو معرب يقتضي الاحتراس والتدقيق في الوصف. فليس كل لفظ دخيل يعني أنه دخل بلفظه إلى العربية، فقد يكون دخل بالمعنى اللغوي ثم اكتسب داخل اللغة الثانية المعنى الاصطلاحي. وقد يكون له في اللغة الأصل معنى لغويا في الأصل لكن دخل إليها بمعناه الاصطلاحي. وقد يكون له معان عدة في اللغة ثم دخل بمعنى آخر من مثل اقرأ بمعنى دعا الذي جاء إلى العربية من العبرية[2] وهكذا. فمعظم المواد قد تكون مشتركة في اللفظ لكن تتبادل اللغات المعاني[3].

الخاتمة:

نخلص من خلال مقاربة موضوع عربية القرآن الكريم وعروبته إلى نتائج منها:

أن لفظ عربي في القرآن الكريم وإن كان في بعض السياقات صريح في القصد إلى اللغة العربية التي نزل بها، فإن ثمة سياقات لا تقبله، مما يقتضي بحث معاني هذا اللفظ في اللسان العربي، وقد أسفر البحث والربط بين السياقات إلى أن "عربي" في معظم السياقات يناسبه معنى الوضوح والبيان، وفي سياقات أخرى قد يناسبه معنى الحجة أو الرسالة أو القول. ولا يناسبه العرب بمعنى الأمة العربية أو لغة العرب في معظم مواطن توظيفه.

---

[1]. بروكلمان كارل: فقه اللغات السامية، ص103.

[2]. يقول شحلان: "فالفعل العبري [يقصد קרא] يدل على قرأ، نادى، تكلم بصوت مرتفع، رفع صوته، دعا، سمى، درس، بالإضافة إلى معنى آخر هو وعظ. وبالمقارنة بين الفعلين العبري والعربي، نجد أن المشترك بينهما هو معنى: قرأ الكتاب جهرا وسرا، والمعنى التلمودي، أي درس وتعلم. وانفردت العربية بمعنى 1. ضم الشيء بعضه إلى بعض. 2. قرأت الحامل ولدت. وانفردت العبرية بمعنى 1. صرخ 2. نادى، أعلن 3. سمى، دعا". مجمع البحرين من الفنيقية إلى العربية، دراسة مقارنة في المعجم واللغات العروبية (السامية)، ص86.

[3]. يقول شحلان: "إن العروبي القرآني المشترك، اشترك في أصول معانيه، لأن الوطن الأصل للناطقين باللغة العروبية كان واحدا، وكان محدد الرقعة صغيرها، ثم اتسعت أرجاؤه، وتباعدت آفاقه، بسبب تغير المناخ، وشح الطبيعة، وتكاثر الخلق وعجز الأرض. فحدثت الهجرة وتباعدت الأنساب". المصدر نفسه، ص48.

يتضح من مقابلة العربي بالأعجمي أنه لا يناسب ما ذهب إليه معظم اللغويين من مقابلة اللغة العربية بغيرها من اللغات؛ أولا لأنه لا يناسب السياق وثانيا لأنه لا يناسب مقاصد الرسالة العالمية، وإنما يوحي بالتفاضل القيمي بين اللغات في القرآن الكريم. ومن ثم فبحث السياقات يظهر أنه يفيد الوضوح في مقابل الغموض.

ومن ثم فبحث المعجم القرآني يقتضي قراءة نسقية تربط بين السياقات التي ورد فيها اللفظ لاستنباط المعنى المشترك وينأى عن قراءة تجزيئية تفسر اللفظ في كل آية على حدة.

يتضح من بحث عروبية القرآن الكريم أنه أيضا يصح باعتبار المكان وباعتبار تمثل لغته للغة البيئة واللغات التي تفاعلت معها سواء التي تشترك معها في الأصل أو التي تفاعلت معها لسبب ما. وهذا أيضا مما يعكس قوة لغة القرآن الكريم وإعجازه من حيث القدرة على تمثل الحضارة.

يظهر من تتبع بعض الألفاظ التي تعد ضمن الدخيل العروبي في القرآن الكريم أن الحكم أحيانا يحتاج إلى تدقيق لتجاوز بعض القضايا الخلافية الناتجة عن تعميم الحكم، فأحيانا يكون اللفظ دخيلا من حيث المعنى اللغوي فقط، وأحيانا من حيث الاصطلاح، وأحيانا من حيث معنى من المعاني فقط. هذا كله يقتضي الدقة والتريث في الحكم.

ويبقى القرآن الكريم عربيا وعروبيا. ويبقى المعجم القرآني منفتحا على القراءة وبحاجة إلى قراءات عدة. عسى أن تكون هذه الدراسة قد فتحت بابا يسيرا محفزا للقراء. والله أعلم

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن حزم، علي بن محمد (1987)، الإحكام في أصول الأحكام، حققه وراجعه لجنة من العلماء، ط2، لبنان: دار الجيل.
- ابن عاشور، الطاهر (1984): تفسير التحرير والتنوير، د.ط، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (2003)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- الآلوسي، شهاب الدين (د.ت)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- بروكلمان، كارل (1977)، فقه اللغات السامية، ترجمه عن الألمانية رمضان عبد التواب، المملكة العربية السعودية: مطبوعات جامعة الرياض.
- البيضاوي، القاضي ناصر الدين (2000)، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه وضبط نصه محمد حسن حلاق ومحمد أحمد الأطرش، ط1، دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان.

- حجازي، محمود (1973)، علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات السامية، الكويت: وكالة المطبوعات.
- خشيم، علي فهمي (1997)، هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم، ط1، دار الشرق الأوسط.
- الزمخشري، أبو القاسم (1998)، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل، ط1، د.م.ط: مكتبة العبيكان.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (د.ت)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دمشق: دار القلم، د.ت.
- شحلان، أحمد: (2009) مجمع البحرين من الفنيقية إلى العربية، دراسة مقارنة في المعجم واللغات العروبية (السامية)، ط1، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- طه، باقر (2012): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (د.ت): التبيان في تفسير القرآن، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- قبيسي، محمد بهجت (2001): ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، ط1، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع واحدات الطباعة.
- قبيسي، محمد بهجت (2008): حضارة واحدة ام حضارات في الوطن العربي القديم، ط2، دمشق: دار طلاس.
- قدور، أحمد محمد (1999): مدخل إلى فقه اللغة العربية، ط2، دمشق: دار الفكر.
- وافي، علي عبد الواحد (1956): فقه اللغة، ط4، القاهرة: لجنة البيان العربي.
- ولفنسون، إسرائيل (1980)، تاريخ اللغات السامية، ط1، بيروت، لبنان: دار القلم.